نشأة الكتابة العربية

واثر الاسلام والنبي الكريم (ص) في نشر الخط العربي وتحسينه

سهيلة الجبوري

نائبة رئيس جمعية الخطاطين العراقيين

كان العرب قبل اسلامهم عبارة عن قبائل متفرقة . فكل قبيلة تعتبر نفسها دولة مستقلة . لاتذعن لغيرها . الامر الذي ادى الى التفكك والتنازع والتناحر كما انهم عبدوا آلهة متعددة . فكان فقدان العقيدة الدينية مظهر تدن فكري ومبعث قلق اجتماعي . وسبب فقدان وازع للتماسك والتعاطف والوحدة . وبذلك تولد في حياتهم الفكرية والاجتماعية فراغ خطير يزيد في عوامـــل التفرقـة .[1]

مما زاد الطين بلة هو عبادتهم لالهةمتعددة صنعوها بأيديهم كهبــل واللاّت والعزى وغيرها . فقد ورد ان اول صنم عبد في الحجاز هوهبل الذي جلبه عمرو بن لحي من مـآب من ارض البلقاء وبها يومئذ العماليق . فقدم به مكة فنصبه وامر الناس بعبادته وتعظيمه .[2] كما كان هذا العصر مضطرب الامن تسوده الفوضى من جميع نواحيه . عصبيات جاهلية . وارتكاب لاشنع المنكرات . سلب وقتل وعدوان ووأد . تغير القبيلة على الاخرى فتبدد شملها . وتسلبها حرياتها ومالها . وتعتدي على اعراضها . فالحق للقوة الغاشمة .[3] مما استحق ان يطلق على تلك الفترة (الجاهلية) .

وعلى الرغم من اختلاف المفسرين في المراد في معنى الجاهلية . فمن المرجح ان تكون الوثنية والسفه والحمق والغضب وعدم الانقياد لحكـــم وشريعة وارادة آلهية وما الى ذلك من حالات انتقصها الاسلام .[4] والجاهلية اصطلاح مستحدث ظهر بظهور الاسلام واطلق على حال قبل الاسلام تمييزا وتفريقا لها عن الحالة التي صار عليها العرب بظهور الرسالة المحمدية[5] . وقد وردت لفظة الجاهلية في القرآن الكريم في السور المدنية .[6] ممـا يدل على ان ظهورها كان بعد هجرة الرسول الاعظم الى المدينة المنورة . كما خصص سبحانه وتعالى الجاهلية الأولى في قوله تعالى : (وقرن في بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الاولى) .[7] فالجاهلية الاولى ولد فيها ابراهيم عليه السلام والجاهلية الثانية التي ولد فيها محمد صلى الله عليه وسلم .[8]

وعلى الرغم مما كان عليه العرب قبل الاسلام من جهل بالامور الانفة الذكر فقد اظهروا منذ اقدم الازمنة عناية بالفكر واهتماما بالعقل والادب ، وكان ابرز مايتميزون به هو لغتهم العربية التي تتميز بالمرونة والاشتقاق والسعة

١) العلي . صالح احمد . مجلة رحلة الفكر والتراث . مطبعة جامعة بغداد . ١٩٨٠ ص١٥٢ .

٢) ابن هشام . السيرة النبوية . مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده . مصر . ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م ج٢ . ص٧٧ .
قال ابن اسحاق : ويزعمون ان اول ما كانت عبادة الحجارة في بني اسماعيل (المصـدر السابـق . ج١ . ص٧٧) . ويقـال : انه اول مـا كـان مـن امـر عمرو كان قد نال رضا العرب فجعلته العرب ربا لايبتدع بدعه الا واتخذوهـا شرعة . وكانت هناك صخرة بلت عليها السويق للحجاج رجل من ثقيف ، وكانت تسمى صخرة اللات (اي الذي بلت العجين) فلما مات هذا الرجل . قال لهـم عمرو : انه لم يمت ، ولكن دخل في الصخرة ، وامرهم بعبادتها وان يبنوا عليها بيتا يسمى اللات (ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٧٧ هامش رقم (٢) .

٣) عبدالفتاح طبارة ، عفيف:روح الدين الاسلامي ، مطبعة دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية عشر ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ، ص ٤١٤ .

٤) علي ، جواد ، المفصل في تأريخ العرب قبل الاسلام . مطبعة دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٧٠ ، ج١ ، ص ٤٠ .

٥) نفس المصدر ج١ ، ص ٣٧ .

٦) سورة الفرقان ، آية ٦٣ (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما).
سورة البقرة ، آية ٦٧ « واذا قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذونا هزواً قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين » .
سورة الاعراف ، آية ٢٥ « وان كان كبير عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض اوسلما في السماء فتأتيهم بآية ولوشاء الله لجمعهم على الهــدى فلا تكونن من الجاهلين » .
سورة هود آية ٤٦ « قال يانوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ماليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين » .
سورة الاحزاب آية ٣٣ « وقرن في بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى » .
سورة المائدة آية ٥٣ « افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقـــوم يوقنون » .

٧) سورة الاحزاب ، آية ٣ .

٨) ابن سعد ، الطبقات الكبيرات ، ج ٨ ص ١٤٣ ، ١٤٥ .

والشمول ، فكانت خير اداة للتعبير ، واسلم وعاء للتفكير ، وابقى مستودع للعلم والمعرفة . فكانت هذه اللغة هي الرابط الاقوى الذي يجمعهم والسمة البارزة التي تميزهم ، والمعبّر الادق لسعة وعمق ثقافتهم ، والمظهر الابـــرز لانسانيتهم . ولعل هذه المكانة البارزة ، والتقدير العظيم ، والرابط الموحد القوي الذي كان للغة هو الذي جعله تبارك وتعالى يختارها لغة القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين . قال تعالى : (قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون) .[٩] وان القرآن الكريم خير مايظهر هذه اللغة الغنية الانسانية الموحدة وهي خير مايميز العرب ويجمعهم ويخلدهم من بين الامم .

وسيبقى للعرب الخلود مادامت لغتهم التي تجمعهم وتميزهم خالدة يرعاها الرب الكريم ويحفظها .

لقد استعمل العرب الكتابة عصرئذ في اعمالهم التجارية وفي تسجيل احداثهم اليومية[١٠] . غير انهم لم يكتبوا بنوع واحد من انواع الخطوط التـي كانت شائعة في ذلك الوقت . فقد كان للتدمريين خط مستقل معروف بالخط التدمري .[١١] استخرجوه من الخط الارامي .[١٢] كما كان للانباط خط مستقل .[١٣] اشتق من الخط الارامي ايضا . وكان اخر نقش من نقوش الخط النبطي هو نقش النمارة المؤرخ سنة ٣٢٨ للميلاد (شكل ١) .[١٤]

[شكل ١] نقش النمارة مؤرخ سنة ٣٢٨م

واستعمل النصارى من اهل العراق الخط السرياني[١٥] الذي انحدر انحدارا مباشرا عن الخط الارامي .[١٦] اضافة لاستعمال العرب في العراق الخط الحميري[١٧] وقد قيل في هذا الشأن : ((انه عندما سئل اهل الحيرة من اين تعلموا الخط العربي قالوا من اهل الانبار وعندما سئلوا من اين تعلمها اهل الانبار قالوا من اليمن)).[١٨]

اما اهل الحجاز فقد استعمل البعض منهم الخط السرياني . فقد كان هذا الخط معروفا منذ فجر الاسلام في الجزيرة العربية . ومن المؤرخيـــن القدامى من اشار بوضوح الى انتشار الخط السرياني بين كثير من الناس[١٩] .

قال ابن اسحاق : « وحدثت أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسريانية فلم يدروا ماهو حتى قرأه لهم رجل من يهود . فاذا هو : انا الله ذو بكة . خلقتها يوم خلقت السموات والارض ...»[٢٠] . وقد استمر هذا الخط عند بعض من أهل الحجاز خاصة اليهود منهم . « فقد روي في مسند عبد بن حميد عـن طريق ثابت بن عبيد عن زيد بن ثابت قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم اني اكتب الى قوم فأخاف أن يزيدوا أو ينقصوا فتعلم السريانية فتعلمتها في سبعة عشر يوماً»[٢١] . كما أن الخط المسند الحميري كان مستعملاً في الحجاز ايضاً ولايستبعد ان يكون عبد المطلب[٢٢] على دراية به . كما انه من المعروف ان قلم المسند الحميري ظل قيد الاستعمال في الحجاز الى ايام الرسول الاعظم أو الفترة القريبة منها[٢٣] وذلك بحكم العلاقات التجارية التي كانت تربطهم بأهل اليمن . اضافة لاستعمالهم الخط النبطي وذلك بسبب الاتصال المباشر بالانباط أثناء رحلاتهم الدائمة المتواصلة . خاصة وان صلات أهل الحجاز بالشام كانت اكثر رسوخاً واثبت قدماً . ويكفي أن نشير الى الاشـارة في القرآن الكريم الى رحلة الشتاء والصيف حيث كانت الأولى الى بلاد اليمـن والثانية الى بلاد الشام .[٢٤] كما كانت من الانباط جاليات في يثرب نفسها . وقد ذكر ابن سعد بانه كان من جملة اسواق يثرب سوق يعرف بسوق النبط[٢٥] « قال كعب فبينما أنا أمشي بالسوق اذا نبطي يسأل عني من نبط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة ... حتى جاءني فدفع اليّ كتاباً من ملك غسان . وكتب كتاباً في سرقة من حرير ...»[٢٦] .

---

(٩) سورة الزمر آية ٣٨ .

(١٠) الاسد ناصرالدين ، مصادر الشعر الجاهلي ص ٦٧

(١١) يعتبر القلم التدمري تطور عن القلم الارامي الذي ظهر بين سنتي ٢٥٠ق.م و ١٠٠ ق.م
(Diringer, D. The Alphabet, London 1968, Vol. 1, p. 216).
وان اقدم الكتابات التدمرية ترجع الى القرن الاول قبل الميلاد ويمتد تأريخها الى القرن الثالث الميلادي . (ولفنسون ، اسرائيل ، تاريخ اللغات السامية ، الطبعـة الاولى ، مطبعة الاعتماد بمصر ، ١٣٤٨هـ ص ١٢٨) .

(١٢) القلم الارامي هو احد الفروع الرئيسية للقلم السامي الشمالي وقد انحدر عنه في اواخر القرن العاشر أو أوائل القرن التاسع قبل الميلاد .
(Diringer. D.Op. cit p. 198). (Ibid . p. 136)

(١٣) لقد تطور الخط النبطي من الخط الارامي الذي تم في وقت ما من اواخر القرن الثاني قبل الميلاد (Ibid.p. 136) ولم يأخذ طابعه المميز الا في النصف الاخير من القرن الاول قبل الميلاد (Ibid. p. 140) كما انه لم يصبح خطا مستقلا قائما بذاته الا في القرن الاول للميلاد (Ibid. p. 140) .

(١٤) نقش النمارة هو شاهد قبر الملك العربي امرؤ القيس بن عمرو وربما يكون بن عدي ابن نصر احد ملوك الحيرة . (ابن حبيب ، المحبر ، مطبعة جمعية دائـــــرة المعارف العثمانية الدكن ، ١٣٦١ ، ص ٣٦٩) .

(١٥) علي ، جواد ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٣٧٦ هـ ج ٧ ص ١٥

(١٦) Diringer, Di Op. cit.p. 243.

(١٧) الخط الحميري هو خط اهل اليمن ويعرف بالمسند . (القلقشندي ، صبـــح الاعشى في صناعة الانشا ، المطبعة الاميرية بالقاهرة ، ١٣٣٢هـ ، ج٣ ، ص١٤) حروفه تكتب منفصلة وهي تختلف عما يقابلها من اشكال الحروف العربيـــة . (غودي ، اغناطيوس ، المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة ، القاهرة ١٣٤٩هـ ، ص ٣ .

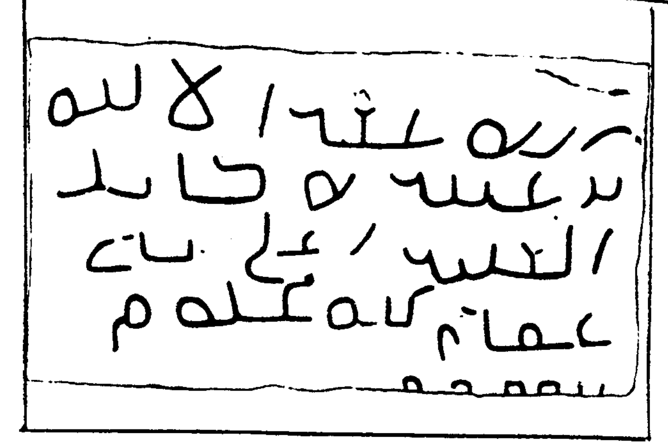
(١٨) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ١٤ .

(١٩) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الطبعة الثانية ، مطبعة السعادة ، بمصر ، ١٣٦٧هـ ، ج١ ، ص ٢٠٧ . ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، مطبعـــة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦٥هـ ، ج٤ ، ص ١٥٦ .

(٢٠) ابن هشام ، السير النبوية ، ج١ ، ص ٢٠٨ .

(٢١) العسقلاني ، الاصابة في تمييز الصحابة ، الطبعة الاولى ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨هـ ، ج١ ص ٥٦١ .

(٢٢) عبد المطلب بن هاشم هو جد النبي الكريم توفي وعمر النبي ثماني سنوات ولما كان النبي قد ولد في عام الفيل اي سنة ٥٧١ م فتكون وفاة عبد المطلب عام ٥٧٩ م . (ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص ١٧٨ .



[شكل ٢] نقش ام الجمال الثاني

ان استعمال العرب لعدة خطوط قبل اسلامهم دليل قاطع على عـدم وجود مايوحد كلمتهم كي يتوحدوا في حرفهم . غير أنه شاء القدر أن يكون للعرب قلم خاص كان البادرة الأولى في وحدتهم . وتلك هي البداية

ففي الربع الأول من القرن الرابع للميلاد أخذ العرب في تطوير اشـكال بعض الحروف النبطية نحو التبسيط . كما حوروا اشكال بعضها الآخر . اضافة لابتكارهم اشكالاً جديدة لبعض مايقابلها من حروف نبطية . وذلك تسهيلاً لفصل الحروف ووصلها[٢٧] . وما أن بزغ فجر القرن السادس للميلاد الا وللعرب خط جديد اطلق عليه علماء الساميات الخط العربـي . الذي تطور بين حوران وشمال الحجاز[٢٨] . وكانت قناعة العلماء في أن اصل الـخـط العربي مـن الخط النبطـي[٢٩] . حصيلـة دراسـات ومقارنات علمية دقيقة للنقوش النبطية والعربية التي وصلتنا من الفترة التي سبقت الاسلام[٣٠] . وعلى الرغم من قلة عدد النقوش العربية التي ترجع الى ما قبل الاسلام الا انهـا افادتنا بمعرفة اشكال الحروف العربية وتطورها في القرن السادس للميلاد . والتي صار لها شكل متميز لايتطابق مع ما كانت عليه في الكتابات النبطية . مثل الالف والدال والحاء والكاف والميم والسين والشين والراء والتاء . كما حورت اشكال بعضها الآخر نحو التبسيط كالواو والفاء والقاف . اما بقية الحـروف كالجيم والطاء واللام والنون والياء واللام . الف فقد ظلت نبطية واستمر استعمالها حتى يومنا هذا[٣١] . وتلك النقوش هي :

١ - نقش ام الجمال الثاني : غير مؤرخ ورجحنا أن يكون من مطلع القرن السادس للميلاد وذلك لان الكثير من اشكال حروفه لازالت نبطية . (شكل ٢) .

٢ - نقش زبد : مؤرخ سنة ٥١٢ م (شكل ٣) .



شكل (٣) نقش زبد مؤرخ سنة ٥١٢ ميلادية

٣ - نقش اسيس : مؤرخ سنة ٥٢٨ م (شكل ٤) .

٤ - نقش حران : مؤرخ سنة ٥٦٨ م (شكل ٥) .

[شكل ٤] نقش اسيس مؤرخ سنة ٥٢٨ م

[شكل ٥] نقش حران مؤرخ سنة ٦٥٨ م

(٢٣) علي . جواد . تاريخ العرب قبل الاسلام ج٧ . ص ٥٥ .

(٢٤) قال تعالى : « لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف » (سورة قريش آية ١/٢)

(٢٥) ابن سعد الطبقات . ج١ . ص ٤٥ .

(٢٦) ابن هشام . السيرة النبوية . ج٤ . ص ١٧٩ .

(٢٧) الجبوري . سهيلة . اصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الاموي مطبعة الاديب . بغداد . ١٩٧٠ م . ص ٤٨ – ص ٦٠ .

(٢٨) Abbott, Nabia: The Rise of the North Arabic Script and its Kuranic Development with a full Discription of the Kuran Manuscripts in the Sriental Institute, Chicago, 1938, p. 8–9.

(٢٩) جدول رقم (١)

(٣٠) نيلسن . دتليف وآخرون . التاريخ العربي القديم . ترجمة حسنين علي وزكـي محمد حسن . مطبعة النهضة المصرية . ١٩٥٨م . ص ٣٨ .

(٣١) جدول رقم (١) وجدول رقم (٢)

لقد اختلف البعض في طرق انتقال الخط العربي . الذي تطور في منطقة حوران وشمال الحجاز[٣٢] . فقد اشارت نبيهة عبود بان انتقال الخط العربي الى الحجاز قد تم عن طريق الحيرة والانبار . كما اشارت بان انتقاله لم يقتصر على طريق الحيرة بل سلك ايضاً طريقاً ثانياً هو طريق هجر (مدائن صالح)[٣٣] وهي تدعم رأيها هذا بوجود نقش النمارة (شكل ١) ثم ام الجمال الثاني (شكل ٢) ونقش زيد (شكل ٣) ونقش حران (شكل ٥) التي تمثل حلقة اتصال مع الكتابة العربية في الحجاز[٣٤] . وقد مال كثير من الباحثين الى هذا الرأي منهم جواد علي اذ يذكر بان صلة هذا القلم باعالي الحجاز وبلاد الشام اقرب من صلته بالحيرة والانبار[٣٥] . ومنهم ايضاً صلاح الدين المنجد الذي يرى بأن عرب الحجاز قد اقتبسوا خطهم عن الانباط نظراً للاتصال المباشر بهم اثناء رحلاتهم الدائمة المتواصلة الى الشام . « وقد كانوا يمرون دائماً الى ديارهم ولم يكن للشام طريق آخر يوصلهم اليها»[٣٦] .

وعلى ذلك فانه من الارجح ان يكون انتقال الخط العربي الى الاجزاء الوسطى والجنوبية من الحجاز قد تم بالدرجة الأولى عن طريق اهل الشام أو النبط انفسهم اي عن طريق جنوب سوريا[٣٧] . وبنفس الطريقة انتقل الى وسط العراق وجنوبه[٣٨] ولاشك ان مما ساعد في ذلك الانتقال الطريق التجاري المباشر الذي كان يربط الحجاز بالشام وغني عن التعريف ان العلاقات التجارية التي كانت تربط الحجاز بالحيرة وغيرها من مدن العراق كانت اقل كثيرا من تلك التي تربطهم بدمشق وحران وغيرها من مدن سوريا . كما ان الانباط قد توغلوا في بلاد الحجاز .[٣٩] وتمكنوا من الوصول الى يثرب .[٤٠] بالاضافة الى وجود جاليات نبطية في الحجاز ووجود سوق النبط في يثرب .[٤١] كما ان بعض المدن النبطية تقع ضمن منطقة الحجاز . فعند زيارتنا للنبي الاعظم متوجهين من جدة نحو المدينة المنورة نمر بمدينة هجر (مدائن صالح) .

من الامور المسلم بها ان الخط العربي كان منتشراً بين عرب العراق في تلك الحقبة من الزمن . وقد ساق المؤرخون العرب دلائل كثيرة على ذلك منها مثلا قصة اهل الاخبار عن صحيفة المتلمس .[٤٢] ومقتل طرفة بن العبد سنة ٥٥٠م .[٤٣] ومنها ايضاحا ماجاء في اخبار الفتوحات العربية الكبرى اذ وجد القائد العربي خالد بن الوليد في قرية من قرى عين التمر .[٤٤] اسمها النقيرة .[٤٥] صبياناً يتعلمون الكتابة . وكان من بين هؤلاء حمران مولى عثمان بن عفان (رض) .[٤٦] وربما كانوا يتعلمون في الكتاتيب ، اذ يذكر صاحب الاغاني بان عدي بن زيد العبادي كان قد ((طرحه ابوه في الكتاب حتى حذق العربية .[٤٧] ويذكر انه كان يكتب لكسرى ابرويز بالعربية . ولما قتله النعمان بن المنذر حوالي سنة ٦٠٤ م جعل زيد بن عدي ابنه مكانه .[٤٨]

لقد تميزت الحيرة .[٤٩] بالخط العربي الذي عرف (بالخط الحيري وكان من اعلامه ثلاثة من بقّه[٥٠] وهم مرامر بن مرة واسلم بن سدرة وعامر بن جدرة . وهذه نعوت لهم لحذقهم في الكتابة فهي ليست اسماؤهم .[٥١] وقد ظن بعض المؤرخين القدامى بان هؤلاء قد اخترعوا الخط العربي .[٥٢] ويمكن ان السبب الذي دفع المؤرخين العرب الاوائل الى ذكرهم ونسبة

(٣٢) Abbott, Nabia: Op.cit . p. 8-9.

(٣٣) هجرْ : قرية قرب المدينة فتحت ايام النبي (ص) قيل في سنة ثمان وقيل في سنة عشر على يد العلاء بن الحضرمي . (ياقوت . معجم البلدان . ج٤ ب ، ص ٩٥٣ – ص ٩٥٤ .

(٣٤) Op – cit .p. 6.

(٣٥) علي ، جواد . تاريخ العرب قبل الاسلام . ج٧ . ص ٦٣

(٣٦) المنجد . صلاح الدين . دراسات في تاريخ الخط العربي . الطبعة الاولى . مطبعة دار الكتب الجديد . بيروت . ١٩٧٢م . ص ١٩ .

(٣٧) الجبوري ، سهيلة . المصدر السابق . خارطة رقم (٣)

(٣٨) نفس المصدر . خارطة رقم (٣)

(٣٩) نامي ، خليل يحيى . اصل الخط العربي وتأريخ تطوره الى ماقبل الاسلام . مجلة كلية الاداب . الجامعة المصرية . ١٩٣٥م ، م٣ . ج١ ، ص ١٠٥

(٤٠) ولفنسون . اسرائيل . المصدر السابق . ص ١٣٤ .

(٤١) ابن سعد ، الطبقات . ج١ . ص ٤٥

(٤٢) توفي المتلمس سنة ٥٨٠م (غنيمه . يوسف رزق الله . مدارس الحيرة والخط الحيري ، مجلة المشرق ، ١٩٣٢م ، ص ٥٨٣) .

(٤٣) نفس المصدر ، ص ٥٨٣ .

(٤٤) عين التمر ، بلدة قديمة قريبة من الانبار (ابن عبد ربه . العقد الفريد . ج٤ . ص ١٥٧) .

افتتحها المسلمون ايام ابي بكر سنة ١٧ هـ على يد خالد بن الوليد . (ابن هشام . ج١ ، ص م)

(ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ب ، ص ٧٥٩)

(٤٥) ياقوت ، نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٨٠٧ – ٨٠٨

(٤٦) ورد اسمه (حمران ابن ابان مولى عثمان كان يكتب له)) . (الجهشياري. الوزراء والكتاب . مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده . ١٣٥٧هـ . ص ٢١) . كما ورد اسمه ((عمران مولى عثمان بن عفان)) . (علي ، جواد . تأريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٧ ص ٦٤) .

(٤٧) الاصفهاني . الاغاني . الطبعة الاولى . مطبعة دار الكتب المصرية . ١٣٤٦ هـ ج ٢ . ص ١٠١

(٤٨) المسعودي . مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٢ ، ص ١٠٠ .

(٤٩) الحيرة : مدينه كانت على ثلاثة اميال من الكوفة كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية . ويقال لها الحيرة الروحاء . (ياقوت . معجم البلدان . ج٢أ . ص٣٧٥ ص ٣٧٦) .

(٥٠) بقة : اسم موضع قريب من الحيرة ، وقيل انه حصن كان على فرسخين من هيت كان ينزله جذيمة الابرش ملك الحيرة . (ياقوت . نفس المصدر . ج١ب . ص ٧٠٢) .وقد ورد اسمها في العقد الفريد . (ابن عبدربه . ص١٥٧ ج٤)

(٥١) ان هؤلاء الثلاثة قد عاصروا حماد بن زيد الذي عاش في اواخر القرن الخامس الميلادي (Abbott. N: Op. cit .p. 8). وقد ذهب علي الشرقي بان تلك الاسماء كانت القابا تشير الى مهنتهم اوحذقهم فيها (الشرقي علي . الكتابة في العراق . مجلة لغة العرب . السنة الثانية ١٩١٣ . جـ١٠ . ص ٤٢٨ – ص ٤٢٩ هامش رقم (٣)) . كما أيدلي الاب مارزكا عيواص مطران بغداد والبصرة للسريان الارثذوكس عضو مجمع اللغة السريانية ماذهب اليه الاستاذ الشرقي ولم اجد ماينافض هذا الرأي عند الاستعانة بمعجمات اللغة السريانية المتيسرة لدى (منا . يعقوب . قاموس دليل الراغبين . طبعة الموصل ١٩٠٠ م . ص٤١٥) كوستاز . لويس . سرياني عربي انكليزي فرنسي . طبعة بيروت . دت . ص٢٥٦) (اودو . توما . قاموس كنز اللغة السريانية . طبعة الموصل ١٨٩٧م . ص٢٤٢) .

(٥٢) البلاذري . فتوح البلدان . مطبعة لجنة البيان العربي . ١٩٥٧ م . القسم الثالث ص٥٧٩ . ابن النديم . الفهرست . ص٤ – ص٥ .ابن قتيبة عيون الاخبار . ج١ . ص ٤٣ .الصولي . ادب الكتاب . ص ٣٠ .

الخط العربي اليهم انهم كانوا من المعلمين الاوائل . تعلم بشر بن عبد الملك الكتابة على ايديهم [٥٣] والذي بدوره قد علمها الى سفيان بن امية بن عبد شمس وغيره من اشراف مكه . ثم ان بشراً وسفيان وابا قيس أتوا الطائف في تجارة فصحبهم غيلان بن سلمة الثقفي فتعلم الخط منهم . وفارقهم بشر الى ديار مضر فتعلم الخط منه عمرو بن زرارة بن عدس . ثم اتى بشراً الشام فتعلم منه ناس [٥٤]

لقد رجح كروهمان Grohmann انتقال الكتابة العربية الى مكة في حوالي سنة ٥٦٠ ميلادية [٥٥]. وقد استند فيه على رواية اوردها البلاذري نقلاً عن ابن الكلبي وهي أن من اوائل الذين تعلموا الكتابة في مكة كان سفيان بن امية بن عبد شمس [٥٦] عم ابي سفيان بن حرب [٥٧] ، والد ابي سفيان وهو حرب بن امية مستنداً في هذا على روايتين للجهشياري ولابن النديم [٥٨] .

ومهما يكن من أمر فلا يمكن التأكد بنوع الكتابة التي كان يحسنها قصي وليس من المستبعد أن يكون القلم العربي الشمالي [٥٩] . فقد ورد أن قصي كتب الى اخيه رزاح بن ربيعة في الشام يدعوه الى نصرته [٦٠] . كما يرجح ايضاً أن عبد المطلب كان يحسن الكتابة بالخط العربي ، فانه نادم حرب بن امية [٦١] الذي كان يحسن الكتابة بالعربية الشمالية . ويستشف من رواية لابن اسحاق [٦٢] أن بعض اولاد عبد المطلب ربما كانوا يحسنون الكتابة بالخط نفسه [٦٣]

ومن البديهي أن يكون انتشار الخط الجديد بين اهل الحجاز ، وذلك لحاجتهم اليه في تسجيل العهود وكتابة المواثيق وتثبيت الاحلاف [٦٤] ، وفي تثبيت الصكوك التي كثيرا ما استعملت في حساب الاعمال التجارية والحقوق [٦٥] ، اضافة الى اهتمامهم بكتابة الرسائل المتبادلة فيما بينهم [٦٦] ، ولا يغرب عن البال ايضاً أن هناك ضرباً آخر من المدونات المتعارف عليها وهي ماسميت بـ (مكاتبة الرقيق) [٦٧] أي سند ملكية الرقيق .

ومع ذلك فقد ورد البلاذري أنه جاء الاسلام وفي قريش سبعة عشر كاتباً منهم عمر بن الخطاب وأبو بكر وعلي بن ابي طالب وعثمان بن عفان ويزيد بن ابي سفيان والشفاء بنت عبد الله العدوية وعائشة بنت سعد وزيد بن ثابت وغيرهم [٦٨] . فربما المقصود أن هؤلاء كانوا اشهر من كان يجيد الكتابة قبل عصر الرسالة المحمدية .

ومن البديهي أن يكون انتشار الكتابة في هذه الحقبة الزمنية على قدر ضئيل من الانتشار . اذ لم يكن استعمالها ضروريا للعامة والفقراء من الناس بل كانت ضرورة يومية للتجار من الناس ، كما أن تعاطي الكتابة كان شرطاً لابد منه للعربي ليكون ذا مكانة في قومه [٦٩]

وعلى الرغم من ان محمد بن عبد الله كان من بين من كانوا يحسنون الكتابة كجده وعمومته وصديقه وابن عمه ، ورغم اشتغاله بالتجارة فقد كان لايحسن القراءة والكتابة . ليس العربية فحسب بل وحتى غيرها من الكتابات . فقد « روي في مسند عبد بن حميد عن طريق ثابت بن عبيد عن زيد بن ثابت قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم اني اكتب الى قوم فاخاف ان يزيدوا أو ينقصوا فتعلم السريانية فتعلمتها في سبعة عشر يوما » [٧٠] كما روي النجار تعليقا والبغوي وابو يعلي موصولا عن ابي الزناد عن خارجه عن ابيه قال : « اتى بي النبي صلى الله عليه وسلم فقال تعلم كتاب يهود فاني ماآمنهم على كتابي ففعلت فأمضى لي نصف شهر حتى حذقته فكنت اكتب اليهم واذا كتبوا اليه قرأت له » [٧١] .

تلك هي المعجزة الاولى . لقد اقتضت حكمة الباري جلت قدرته ان تكون معجزة محمد من جنس مااشتهر العرب بالنبوغ فيه . لان كل رسول تكون معجزته من جني مانبغت فيه امته . فكانت معجزة موسى عليه السلام عصا انقلبت حية تسعى فتلقفت كل حبال السحرة وذلك لان قوم فرعون اهل علوم رياضية وطبيعية واولي سحر وصناعة . قال تعالى : واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف مايأفكون » [٧٢] . ومعجزة عيسى عليه السلام انه يبرىء الاكمة والابرص واحياء الميت وذلك لان قوم عيسى قد اشتهروا بالطب . قال عز من قائل : « ورسولا الى بني اسرائيل اني جئتكم بآية من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وابرىء الاكمة والابرص واحي الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين » [٧٣] .

---

(٥٣) ابن دريد . الاشتقاق ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .

(٥٤) البلاذري . نفس المصدر ، ص ٥٧٩ .

(٥٥) Grohmann Adolf : Arabishe Palaograph : e vien 1971, Teil 11, p. 25.

(٥٦) البلاذري . نفس المصدر ، ص ٥٧٩ .

(٥٧) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ١٤

(٥٨) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٢ . ابن النديم ، الفهرست ، ص ٥

(٥٩) من الامور المسلم بها ان قصي بن كلاب هو الجد المباشر لهاشم والد عبد المطلب فاذا كانت وفاة عبد المطلب في حدود سنة ٥٧٩ م فستكون وفاة قصي في حدود الربع الاول من القرن السادس . ولاندري لم اعتبر كيتاني ان ولادة قصي بن كلاب كانت حوالي سنة ٣٦٥ م .
(Grohmann, A.: Op. cit, p. 27).

(٦٠) ابن هشام ، نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٢٤ . ابن سعد . الطبقات . ج ١ ، ص ٣٨ .

(٦١) ابن سعد الطبقات ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٦٢) ابن اسحاق بن يسار بن خيار ولد في المدينة المنورة في حدود سنة ٨٥ هـ وتوفي بين سنة ١٥٠ هـ وسنة ١٥٣ هـ . (ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ١ ، ص م) .

(٦٣) ((كان عبد المطلب قد نذر حين لقي من قريش مالقي عند حفر بئر زمزم ، لئن ولد له عشر نفر ، لينحرن احدهم لله عند الكعبة . فلما توافي بنوه عشرة ، دعاهم الى الوفاء لله بذلك ، وقال ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه ، ثم ائتوني ...)) . (ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ١٦٠ . ابن سعد . الطبقات ، ج ١ ، ص ٥٣) .

(٦٤) الاسد ، ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي ، ص ٦٧ .

(٦٥) المصدر السابق ، ص ٦٦

(٦٦) نفس المصدر ص ٦٨

(٦٧) نفس المصدر ص ٧٣

(٦٨) البلاذري ، فتوح البلدان ، القسم الثالث ، ص ٥٨٠ – ٥٨١

(٦٩) الاسد ، ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي ص ٥٤

(٧٠) العسقلاني ابن حجر ، الاصابة في تمييز الصحابة ، ج ١ ، ص ٥٦١

(٧١) نفس المصدر ج ١ ، ص ٥٦١

(٧٢) الاعراف : آية ١١٦

(٧٣) آل عمران : آية ٤٩

غير ان الاسلام (٧٤) سار على غير سمت الاديان التي كانت قبله . وسن نهجاً جديداً في البرهان على صحته وعلى انه من عند الله . فالقرآن هو الكتاب المعجزة للبشر بهدايته تشريعه واسلوبه ومعانيه التي تتميز بخلودها وبقائها على الزمن فالقرآن ينفرد في اسلوبه لانه ليس وصفا انسانيا البتة . ولوكان من وضع انسان لجاء على طريقة تشبه اسلوباً من اساليب العرب أومن جاء بعدهم الى هذا العهد . قال تعالى في محكم كتابه الكريم : « قل لئـن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا » (٧٥) . وقال جلت قدرته : « وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم » (٧٦) . وقال تعالى : « وماكنت تتلومن قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هوآيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم ومايجحد بآياتنا الا الظالمون » (٧٧) .

وقد نعت الله تعالى نبيه بالامي في قوله تعالى : « فآمنوا بالله ورسولـه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)) (٧٨) كما نعت القرآن الكريم قوم محمد (ص) بالاميين في قوله تعالى : ((هوالذي بعث في الاميين رسولا منهم » (٧٩) . وفي قوله ايضاً : « وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ... » (٨٠) . وقوله تعالى : « ومن اهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لايؤده اليك الا مادمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » (٨١) . وقوله ايضاً : « وقل للذين اوتوا الكتـاب والاميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا » (٨٢) .

ففي جميع هذه الايات الكريمة ترد لفظة (الاميين) . فهي نعت لمن ليس لهم كتاب من العرب لاكما يراه البعض لانهم يجهلون القراءةوالكتابة قال قتاده في معنى قوله تعالى : « وهوالذي بعث في الاميين رسولاً منهم » « كان الحي من العرب امية ليس فيها كتاب يقرأونه فبعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة وهدى يهديهم به)) (٨٣) .

اما تفسير لفظة (الامية) بالجهل بالقراءة والكتابة فقد وقع فـي الاسلام . حيث اخذوه من ظاهر معنى لفظة (الكتاب) الواردة فـي القرآن الكريم . فظنوا انها تعني (الكتابة) (٨٤) بينما المراد منها كما هو واضح في (الكتاب المنزل) . لعدم انسجام تفسيرها بالكتابة مع معنى الآية . فلوكانت الامية معروفة عند اهل الجاهلية بهذا المعنى لاستشهدوا عليها بشعر من اشعار الجاهليين او المخضرمين .

فالقرآن الكريم هوالذي هدانا الى لفظة (الاميين) . فلم ترد اللفظة فـي نص من نصوص الجاهلية كما عرفنا مصطلح (اهل الكتاب) دلالة عـلى اهل الديانتين (٨٥) .

لقد اختار الله نبيه امياً لايقرأ أويكتب . ولايقرض الشعر . ولايتكلف الخطابة . ولايتعمد البلاغة . لينفرد الله بتعليمه الفقه واحكام الشريعـة . ويقصره على معرفة مصالح الدين دون ماتتباهى به العرب من قيافة الاثـر والبشر . ومن العلم بالانواء والخيل والانساب وبالاخبار وتكلف قول الشعر .

ليكون اذا جاء القرآن الحكيم وتكلم الكلام العجيب كان ذلك ادل على انه من الله تعالى . قال جلت قدرته : « تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها انت ولاقومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين » (٨٦) .

لقد أمره الباري تعالى بالقراءة في اول سورة انزلت عليه حينما اوحي له . قال تعالى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علـق . اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » . (٨٧)

قال ابن عباس في تفسير هذه الآية الكريمة : « اقرأ يامحمد وهـذا اول مانزل به جبريل (باسم ربك) بأمرربك (الذي خلق) الخلائق (خلق الانسان) يعني ولد آدم (من علق) من دم عبيط : فقال ماأقرأ ياجبريل . فقرأ عليه جبريل أربع مرات من اول السورة فقال له (اقرأ) القرآن يامحمد (وربك الاكرم) المتجاوز الحليم عن جهل العباد (الذي علم بالقلـم) الخط بالقلم (علم الانسان) يعني الخط بالقلم (مالم يعلم) قبل ذلـك ويقال علـم الانسان يعني آدم اسماء كل شيء مالم يعلمه قبـل ذلك » . (٨٨)

كما ركز القرآن الكريم على الحرف في كثير من فواتح السور : قـال تعالى : « الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين » . (٨٩) « ق والقرآن المجيد » . (٩٠) « ص والقرآن ذي الذكر » . (٩١) « المص . كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين » . (٩٢) « الر تلك آيات الكتاب الحكيم » . (٩٤) « الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت مـن لدن حكيم خبير » . (٩٥) « الر تلك آيات الكتاب المبين » . (٩٦) « المر تلك

---

(٧٤) الاسلام هو الاسم الذي عرف به الدين الذي جاء به محمد (ص) وهـذه التسمية لم تكن عن اجتهاد من الرسول الاعظم وانما كانت من الله تعالى . قال جل شأنه : « اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكـم الاسلام دينا » المائدة : آية ٤ .

(٧٥) الاسراء : آية ٨٨ .

(٧٦) الشورى : آية ٥٢

(٧٧) العنكبوت : آية ٤٨ . آية ٤٩

(٧٨) الاعراف : آية ١٥٧

(٧٩) الجمعة : آية ٢

(٨٠) آل عمران : آية ٢

(٨١) آل عمران : آية ٧٥

(٨٢) آل عمران : آية ٢٠

(٨٣) ولد قتاده سنة ٦٠هـ وتوفي سنة ١١٧هـ وقيل ١١٨ . (ابن خلكان . وفيـات الاعيان . حققه وعلق حواشيه محمد محي الدين عبدالحميد . الطبعة الاولى . مطبعة السعادة . بمصر ١٣٦٧هـ . ج٣ . ص ٢٤٨ – ص ٢٤٩ .)

(٨٤) علي . جواد . المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام . ج٨ . ص ١٤٢ .

(٨٥) نفس المصدر . ج٨ . ص ١٠٥ – ص ١٠٦ .

(٨٦) هود : آية ٤٩ ان المراد بالامي هو من لايعرف القراءة والكتابة . « دائرة المعارف الاسلامية . طهران م٢ . ص ٦٤٣ – ص ٦٤٨ . مادة (امي) .

(٨٧) العلق : آية ١ – آية ٥

(٨٨) الفيروز ابادي . تنوير المقباس من تفسير ابن عباس . مطبعة الاستقامة بمصر . ١٣٨٠ هـ . ص ٣٩٢ .

(٨٩) البقرة آية ١ . آية ٢

(٩٠) سورة ق : آية ١ . ٢

(٩١) سورة ص . آية ١ . ٢

(٩٢) العنكبوت : آية ١ . آية ٢

(٩٣) الاعراف : آية ١ . ٢

(٩٤) يونس آية ١

(٩٥) هود : آية ١

(٩٦) يوسف : آية ١

آيات الكتاب » . (٩٧) « الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بأذن ربهم الى صراط العزيز الحميد » . (٩٨) « الر تلك ايات الكتاب وقرآن مبين » . (٩٩) « كهيعص » . (١٠٠) « الم . تلك آيـات الكتـاب الحكيم » (١٠١) ان هذا لمعنى كبير اشار اليه القرآن الكريم . القدرة علـى التعبير بالكتابة . فالانسان لايدخل التأريخ لولا الكتابة .

كما اقسم جلت قدرته بالدواة والقلم وبما يكتبون في قوله تعالـى : « ن والقلم وما يسطرون » . (١٠٢) عن ابن عباس في قوله تعالى (ن) يقول اقسم الله بالنون وهي السمكة التي تحمل الارضين على ظهرها ويقال هو اسم من اسماء الرب وهو نون الرحمن ويقال هو الدواة . (القلم) اقسم الله بالقلم وهو قلم من نور طوله مابين السماء الى الارض . وهو الذي كتب به الذكـر الحكيم يعني اللوح المحفوظ . (ومايسطرون) واقسم الله بما تكتب الملائكة عن اعمال بني آدم (.) . (١٠٣) كما وردت بعض الكلمات التي تخـص مواد الكتابة الاخرى . فقد ورد ذكر القرطاس في قوله تعالى : « ولو نزلنـا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحـر مبين » . (١٠٤) كما ذكر المداد في قوله تعالى : « قل لو كان البحر مـداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا » . (١٠٥)

وأشار جل ثناؤه الى اهمية الكتابة في حفظ الحقوق بين الناس فقـال تعالى : « ياايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فأكتبـوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ... » . (١٠٦) ان كتابة الدين المؤجل الى تأريخ معين اخذ بها القانون الفرنسي في اواخر القرن الثامن عشر حين اشتـرط ان يكون الدين مكتوباً اذا زاد على قدر معيـن . وعنه اخذت القـوانيـن الأوربية . (١٠٧)

فالقرآن الكريم وحي الهي قال تعالى : « وكذلك اوحينا اليك قرآنـاً عربياً لتنذر ام القرى ومن حولها » . (١٠٨) انزل بالعربية . قال تعالى : « انـا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » . (١٠٩) وقال أيضاً : « قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون » . (١١٠) والحكمة في نزوله بالعربية كي يتفهمه العـرب . قال تعالى : « وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا وبشـرى للمحسنين » . (١١١)

فمعجزة خاتم النبيين والمرسلين هو القرآن الكريم بكل مايحويه من لغة ومضمون وخط . نعم ان كتابته بالخط العربي هي معجزة ايضاً . فنزوله بلسان قومه وكتابته بنفس الخط المتعارف عليه كان أمراً مهماً . اذ ان هاتيـن الوسيلتين كونتا عقولاً جديدة لهذه الامة . وحصلت الطفرة الهائلـة لصياغتهم صياغة جديدة تحول فيها المجتمع عما كان عليه قبل الرسالـة المحمدية . كما في قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقـوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكـم آياته لعلكم تهتدون » . (١١٢)

لقد ادرك النبي الأمي ذلك جيداً فنهض بالمسلمين لتعليمهم القـراءة والكتابة . لابل والحث في تحسين الخط وتجويده . وبهذا فلا استبعاد ان يكون هو نفسه قد تعلم الكتابة والقراءة بعد ان كان لايحسنها من قبل النبوة . وربما هي المعجزة الاخرى ان يكون جبريل قد علمه اياها . (١١٣) هـذا ماذهب اليه ابو ذر عبد بن احمد الهروي وابو الفتوح النيسابوري وغيرهـم « بان معرفته (ص) للكتابة بعد أميته لاتنافي المعجزة . بل هي معجـزة اخرى لكونها من غير تعليم » . (١١٤)

لقد وردت كثير من الاحاديث النبوية ماتثبت معرفته صلوات الله عليه وسلم القراءة والكتابة . ففي صحيح مسلم ورد من حديث البراء في صلـح الحديبية . « ان النبي (ص) قال لعلي : أكتب الشرط بيننا : بسم اللـه الرحمن الرحيم . هذا ماقاضى عليه محمد رسول الله . فقال المشركون : لو نعلم أنك رسول الله تابعناك – وفي رواية بايعناك – ولكن اكتب محمد بن عبد الله . فأمر علياً ان يمحوها . فقال علي : والله لا أمحاه . فقال رسول اللـه صلى الله عليه وسلم : أرني مكانها : فأراه فمحاها وكتب ابن عبد الله » . (١١٦) وقد رواه البخاري بأظهر من هذا فقال : « فأخذ رسول الله صلى الله عليـه وسلم الكتاب فكتب » . (١١٧)

وعلى الرغم من ان هذا لايدل على انه صلوات الله عليه وسلم كـان يحسن الكتابة بل ربما كان يعرف كتابة اسمه وذلك لحاجته اليه فـي تجارته لخديجة الكبرى مثلا . او انه كتب اسمه مثلما يكتب الاميـون

---

(٩٧) الرعد : آية ١

(٩٨) سورة ابراهيم : آية ١

(٩٩) الحجر : آية ١

(١٠٠) مريم : آية ١

(١٠١) لقمان : آية ١ . ٢

(١٠٢) القلم : آية ١

(١٠٣) الفيروز ابادي . تنوير المقباس من تفسير ابن عباس . ص ٣٦٣ .

(١٠٤) الانعام : آية ٧

(١٠٥) الكهف : آية ١١٠ . المداد : مايكتب به . ومددت الدواة مدا من بـاب جعلت فيها المداد . وامددتها . غمس القلم في الدواة مرة للكتابة . ومـددت من الدواة واستمددت منها اخذت منها بالقلم للكتابـة . ومد البحر مـد . وزاد . (الفيومي . كتاب المصباح المنير . المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩٢٦م . ج١ . ج ٢ . ص ٧٧٧ .) اما الحبر بالكسر : المداد الذي يكتب به واليه نسب كعـب فقيل كعب الاحبار لكثرة كتابته بالحبر . حكاه الازهري عن الفراء (نفـس المصدر . ج١ . ص ١٦١) .

(١٠٦) البقرة : آية ٢٨٢

(١٠٧) طياره . عفيف . روح الدين الاسلامي . ص ٣٢٨

(١٠٨) العنكبوت : آية ٤٥

(١٠٩) الزخرف : آية ٣

(١١٠) الزمر : آية ٣٨

(١١١) الاحقاف : آية ١٢

(١١٢) آل عمران : آية ١٠٣

(١١٣) علي . جواد . المفصل في تأريخ العرب قبل الاسلام . ج ٨ . ص ٩٧

(١١٤) الطبرسي . مجمع البيان في تفسير القرآن . ج ٨ . ص ٢٨٩

(١١٥) وقع صلح الحديبية آخر سنة ست . (ابن هشام السيرة النبوية . ج ٣ . ص ٣٠٨

(١١٦) علي . جواد . المفصل . ج ٨ . ص ٩٨ – ٩٩

(١١٧) نفس المصدر . ج ٨ . ص ٩٩

علامتهم وهم اميون . (١١٨)

أما كونه قرأ ، فقد روى ابن ماجه عن أنس قال صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بي مكتوباً على الجنة : الصدقة بعشر امثالها ، والقرض بثمانية عشر » . (١١٩)

فنبينا الكريم مامات الا وهويحسن القراءة والكتابة . جاء في البخاري : « وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الكتاب ليكتب ، فكتب هذا ماقاضى عليه محمد » (١٢٠) وورد ايضاً انه « لما اشتد وجعه قال : ائتوني بالدواة والكتب اكتب لكم كتاباً لاتضلون معه بعدي أبداً » . (١٢١) كما ورد « في حديث ابي بكر (رض) الله عنه انه دعا في مرضه بدواة ومزبر فكتب اسم الخليفة بعده » . (١٢٢)

لقد صار للكتابة اهمية كبيرة لدى رسول الله (ص) نتيجة لدرايته العظيمة بأهميتها في نشر المعرفة . كما ادرك تماما الاهمية القصوى للكتابة في تدوين القرآن الكريم اضافة الى اهميتها في تحديد علاقات الناس بعضهم بعض ، وتثبيت مالهم وما عليهم ، وتثبيت العقود والصكوك وتبيان الاتفاقيات والمعاهدات . كما كانت الحاجة الى تثبيت اموال الزكاة والمغانم . (١٢٣)

فالدين الاسلامي بشكل عام وللنبي الكريم بشكل خاص أثرعظيم في انتشار الكتابة في فجر الاسلام . نتيجة للاهتمام الزائد عصرئذ في تعليم ونشر الكتابة بين الناس .

مما لاشك فيه ان رسول الله وخاتم الانبياء والمرسلين كان قد شجع الناس على تعلم القراءة والكتابة ، حتى ان الروايات التأريخية تشير الى انه طلب من اسرى قريش في معركة بدر الكبرى من الذين لم يقدروا على فداء انفسهم ان يعلم كل واحد منهم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة . (١٢٤) وتشير النصوص التأريخية كذلك بانه (ص) كان قد شجع النساء على تعلم القراءة والكتابة . (١٢٥) ومن ضمنهم زوجته حفصة (رض) ، التي تعلمت الكتابة على يد الكاتبة المخضرمة الشفاء بنت عبد الله العدوية . (١٢٦)

ان هذه اول بادرة لمكافحة الامية في العالم . وكان الحافز الاهم في ذلك هو تعلمهم قراءة القرآن الكريم وكتابة اياته ، لحفظهم للتعاليم والشرائع السماوية والنظم الاجتماعية . فتحقق للنبي الكريم ماكان يصبو اليه من خلال نشر القراءة والكتابة بين المسلمين ، وظهر الانسان الجديد . الانسان المسلم ، جديد بكل شيء انسان يطبق مبادىء الاسلام من خلال قراءته لكتاب الله عزوجل ، اضافة لسماعه الاحاديث النبوية الشريفة . وما فيها من تعاليم قيمة . قال صلوات الله عليه : « ماحق امرىء له ما يوصي فيه يبيت ثلاثا الا ووصيته عنده مكتوبة » . (١٢٧)

النبي الكريم لايهتم بنشر الكتابة والقراءة فحسب بل وفي تجويد الخط وتحسينه ايضا . وقد ادرك ان تحسين حروف النور والاهتمام بها امرضروري . فقد ورد انه قال لزيد بن ثابت وهو احد كتابه « اذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم فبين السين فيه » (١٢٨) . وذكر ايضا انه (ص) قال لمعاوية وهو يكتب بين يديه : « الق الدواة ، حرّف القلم ، وانصب الباء ، وفرق السين ، ولا تعوّر الميم ، وحسن الله ، ومد الرحمن ، وجود الرحيم » . (١٢٩)

والظاهر أن اهتمام النبي الكريم لم يكن في شكل الحروف وتحسينها فحسب بل وفي وضع كل حرف مانيوبه من النقط وذلك خوفاً من الوقوع في اللحن (١٣٠) ، والتصحيف (١٣١) . في القرآن الكريم . فقد روى أن النبي (ص) قال : « اذا اختلفتم في الياء والتاء فاكتبوها بالياء » (١٣٢) . كما ورد عن عبيد بن اوس الغساني كاتب معاوية قال : « كتبت بين يدي معاوية كتاباً . فقال لي ياعبيد ارقش كتابك . فاني كتبت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعاوية ارقش كتابك . قال عبيد : ومارقشه ياامير المؤمنين . قال : اعط كل حرف مانيوبه من النقط » (١٣٣) .

لم تعن امة في العالم بكتاب سماوي عناية الأمة الاسلامية بالقرآن الكريم . ولم يحط كلام الهي بمثل ما احيطت به آياته من وسائل الحفظ والرعاية والتقديس . فقد كانت تنزل الآية أو الآيات فيحفظها النبي (ص) عن ظهر قلب ثم يتلوها ساعة نزولها على المحيطين به ثم يأمر

---

(١١٨) لقد ذهب القاضي ابو جعفر السمناني بان النبي (ص) كتب اسمه مثلما كان يكتب الملوك الاميون علامتهم وهم اميون . (الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، المطبعة الوهبية ، ١٢٨٦هـ ، ج٨ ، ص ١٩١ ((ام))) .

(١١٩) علي ، جواد ، المفصل ، ج ٨ ، ص ٩٧

(١٢٠) الطبري ج ٣ ، ص ٨٠

(١٢١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ١ ، ص ٥٦٢

(١٢٢) الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٣ ، ص ٢٣١ ، (زبر) .

(١٢٣) المسعودي ، الاشراف والتنبيه ، ص ٢٤٥-٢٤٦

(١٢٤) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٢ ، ص ١٤

(١٢٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، القسم الثالث ، ص ٥٨٠

(١٢٦) نفس المصدر ، ص ٥٨٠

(١٢٧) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٤ ، ص ١٠٨

(١٢٨) الزبيدي ، مرتضى ، حكمة الاشراق الى كتاب الافاق ، ص ٦٧ . « بسم الله الرحمن الرحيم » النمل آية ٣٠ حلت محل باسمك اللهم التي استعملها العرب قبل الاسلام (الجبوري سهيلة ، ص ١١٢)

(١٢٩) الطبري ، تفسير الطبري ، ج ١ ، ص ٦٦

(١٣٠) اللحن : هو الخطأ في القراءة لاشتباه الحركات (الجبوري ، سهيلة ، اصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الاموي مطبعة الاديب ، بغداد ١٩٧٧ ، ص ١٤٩

(١٣١) التصحيف : مصدر صحف يصحف ، الكلمة : اخطأ في قراءتها وروايتها في الصحيفة لاشتباه الحروف او حرفها عن وضعها . (الاصبهاني تنبيه على حدوث التصحيف ، تحقيق محمد اسعد طلس ، دمشق ١٩٦٨ ، ص ٣) .

(١٣٢) ابن الاثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، المطبعة الاسلامية طهران ١٣٥٥ هـ ، ج ١ ، ص ١٩٣

(١٣٣) حميد الله خان محمد ، صنعة الكتابة في عهد الرسول والصحابة ، مجلة فكر وفن ، ١٩٦٤ العام الثاني ، العدد الثالث ، ص٢٦ . الرقش والترقيش : الكتابة والتنقيط ، حية رقشاء : فيها نقط سواد وبياض . (ابن منظور ، لسان العرب ، ج٦ ، ص ٣٠٥) . ان عدم تنقيط المصاحف تنقيطا كاملا ادى الى الوقوع في اللحن والتصحيف مما حدا بالصحابة الى تجريد المصحف من التنقيط . (ابن الجزري . النشر في القراءات العشر . مطبعة مصطفى محمد بمصر د . ت ج١ ، ص٢٣ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٣ ، ص ١٥٥ . طاش كبرى زاده ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، الطبعة الأولى ، مطبعة دار المعارف النظامية بحيدر آباد دكن الهند ١٣٢٨هـ ، ج١ ، ص٨٠-٨١

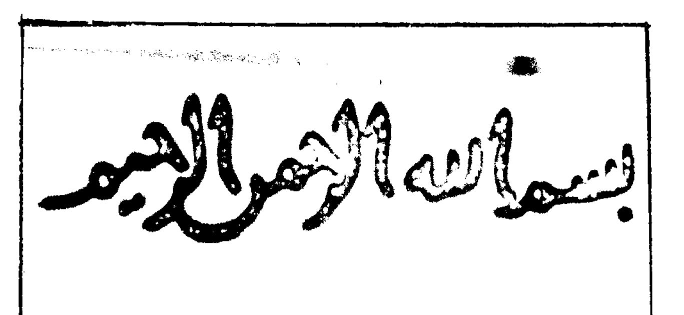
كتبة الوحي بتدوين ماانزل الله اليه . ويحتفظ صلاة الله وسلامه عليه بنسخة مما كتب في داره[134] . وكان من بين كتبة الوحي الخلفاء الاربعة أبو بكر . وعمر . وعثمان . وعلي . كذلك زيد بن ثابت . وأبي بن كعب . ومعاوية بن ابي سفيان[135] .

والمعلوم أن القرآن الكريم لم ينزل دفعة واحدة بل نزل منجماً بالتدريج في مدة البعثة كلها . أي ثلاث وعشرين سنة . فكانت السورة تنزل لأمر يحدث . والآية جوابا لمستخبر . ونزل بعضه في مكة وبعضه في المدينة المنورة وقد جمع على عهد الرسول (ص) وكان ترتيب آية وسورة بتوقيف منه ، فكانت اذا نزلت عليه (ص) آية دعا بعض من يكتب له وأمرهم بأن يضعوها في موضع كذا من سورة كذا واذا نزلت سورة امر بوضعها بجنب سورة كذا . كانوا يكتبونها على الرقاع من الجلود والعريض من العظام . كالاكتاف والاضلاع وعلى العسب وهي قحوف جريد النخل . اواللخاف وهي الحجارة العريضة البيضاء[136] .

والظاهر أن القرآن الكريم قبل أن يجمع في زمن ابي بكر الصديق كانت اجزاؤه المكتوبة موجودة عند الرسول الاعظم وكثير من الصحابة وكان هؤلاء يتلونه في بيوتهم)[137] .

مما يؤسف له أن تكون معلوماتنا عن وصف الخطوط المبكرة لفترة الرسالة المحمدية ضئيلة . اذ لم يذكر عنها في المراجع العربية القديمة الا الشيء اليسير .

يذكر ابن النديم (المتوفي سنة ٣٨٥ هـ) ان اول الخطوط العربية الخط الحيري والانباري والمكي والمدني ثم البصري فالكوفي . ويكتفي في وصف القلمين المكي والمدني بقوله : اما المكي والمدني ففي الفاته تعويج الى يمنة اليد واعلى الاصابع . وفي شكله انضجاع يسير . كما يذكر ايضاً أن من انواع الخط المدني : المدور والمثلث والتئم[139] . وقد تكون صفة كل من المدور والمثلث مفهومه من اسميهما كما قد يكون التئم جمعاً بين النوعين[140] . واضعاً عبارة ((بسم الله الرحمن الرحيم)) كنموذج لكلا الخطين (شكل٦) ان هذه البسملة موجودة في مخطوط قديم من كتاب الفهرست لابن النديم المحفوظ في مكتبة شستربتي في دبلن[141] وقد ظن فلوجل أنها بداية الفصل وليس نموذجاً . ولكن تدارك ناشر الطبعة الطهرانية هذه المسألة فرسمها بشكل يختلف بعض الشيء عن شكلها الاصلي[142] .



[شكل ٦] بسملة منسوبة الى عصر صدر الاسلام

ومهما يكن من امرفانه من المستبعد أن يكون العرب في صدر الاسلام قد كتبوا بهذا النوع من الخط . حيث لم نجد في كتابات قبل الاسلام[143] ولا في كتابات العصر الراشدي[144] ما يطابقه اويماثله اوقريباً منه . وانه ليس هناك أي ذكر لمشاهدة ابن النديم لنماذج اولنموذج واحد يمثل نوع الكتابه التي ترجع لذلك العصر . بالاضافة الى أنه لم يرد في المصادر العربية القديمة وصف لشكل الخط الذي كان مستعملاً في تلك الفترة . بل أن الدلائل الخطية الجاهلية منها والراشدية تبين أن هناك نوعين من انواع الخط العربي كانت مستعملة في فترة الرسالة المحمدية : الاول ماكانت حروفه يابسة جافة[145] . والخط الثاني هو ما كانت تغلب على حروفه الليونه[146] . وقد لانت الحروف اليابسة نتيجة لعدم تأني الكاتب وسرعته في الكتابه . فيظهر اللين في الحروف بصورة عفوية . وقد ورد أن كتاب النبي الكريم كانوا يعيدون ماكتبوه بالخط اللين باملاء النبي (ص) عليهم فيكتبونه بالخط الجاف ذي الطبيعة الرسمية[147] . وهذا مطابق وماراه اسحق تيلر من أن القرآن كان يكتب عند نزول الوحي بالخط النسخي[148] .

---

(١٣٤) طارة . عفيف عبد الفتاح . روح الدين الاسلامي . ص٢٣

(١٣٥) المسعودي . التنبيه والاشراف . ص٢٤٥-٢٤٦

(١٣٦) ماهر . سعاد . مخلفات الرسول في المسجد الحسيني . دار مطابع الشعب القاهرة ١٩٦٥م . ص١١٩-١٢٠ .

(١٣٧) طبارة . عفيف عبد الفتاح . روح الدين الاسلامي . ص٢٣

(١٣٨) ابن النديم . الفهرست . ص٦

(١٣٩) نفس المصدر . ص٦

(١٤٠) Abott. N.: Op. cit.p. 18

(١٤١) Pope: Asurvey of persian art, London, 1964, Vol.,V, p. 1710

(١٤٢) ابن النديم . الفهرست . ص٩

(١٤٣) كنقش ام الجمال الثاني (شكل٢)ونقش زبد (شكل٣)ونقش اسيس (شكل٤) ونقش حران (شكل٥) .

(١٤٤) برديه ٢٢هـ (شكل٨)وشاهد قبر ٣١هـ (شكل٩) .

(١٤٥) اطلقت على الحروف التي تتمثل بها اليبوسه اصطلاحات عدة منها المبسوطة . (القلقشندي . ج٣ . ص١٥) أوالتي تتصف بالتربيع (جمعه . ابراهيم . دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الاحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة . المطبعة العالمية القاهرة ١٩٦٩م . ص٥٢) اومايسمى خطها بذي الزوايا او المزوي او الخط الجاف (مرزوق . عبد العزيز . المصحف الشريف دراسة تأريخية فنية . مجلة المجمع العلمي العراقي . مطبعة المجمع العلمي العراقي . ١٣٩٠ هـ ص١٠) .

(١٤٦) اطلقت على الحروف اللينة اصطلاحات عدة منها : المقورة (القلقشندي . ج٣ . ص١٥) اوالتي تتصف بالتدوير . (جمعة . ابراهيم . المصدر السابق . ص٥٢ .

(١٤٧) مرزوق . عبد العزيز . المصحف الشريف . ص ١٠

(١٤٨) Toylor, I sac: The Alphapbet, London, 1883, p. 325.

ومن المعتقد أن الاتجاه او الميل العفوي نحو ليونة الحروف اليابسة ازداد في عصر النبي الكريم نتيجة لازدياد الحاجة الى الكتابة . خاصة في مايتعلق منها بالمراسلات والعقود وغيرها من الكتابات التي لاتتطلب مهارة فائقة .

فكانت البادرة الاولى لظهور خط قائم مستقل بذاته يعتمد على الليونة في اشكال حروفه . عرف فيما بعد بالخط اللين اوالخط النسخي[١٤٩]

وهناك من يرى اقدمية الخط اللين على الخط اليابس . غير أن هذا يخالف ماوجدناه في الكتابات العربية الجاهلية منها والاسلامية من أن الكتابة العربية تجمع بين اليبس والليونة . وان الميل نحو الليونة كان نتيجة السرعة في الكتابة . ومما يدعم هذا الرأي هو عدم وجود عكس تلك الصورة . أي أنه ليس هناك حروف لينة تطورت نحو اليبوسة . كما انه لم ترد في المدونات التأريخية أية اشارة الى وجود الخط اللين قبل الخط اليابس اوحتى معاصراً له .

هذا ويرى البعض أن الخط النسخي كان شائعاً منذ القرن السابع الميلادي غير أنه لم يستخدم انذاك في النقش على الحجر أوعلى النقود او في المصاحف[١٥٠] .

غير أن هذا ينافي مالمسناه عملياً من وجود حروف اخذت شكلاً لينا على النقود والحجر اضافة لما كان ظاهراً على المعادن والنسيج والبردي وغيرها من المواد[١٥١]

ومهما يكون من امرفان البادرة الأولى لظهور الخط النسخي كانت على ايدي كتبة النبي الكريم . وكان ذلك نتيجة لسرعتهم في الكتابة عند املاء النبي الكريم عليهم حين نزول الوحي عليه .

وفي القرن الثاني للهجرة اهتم الخطاط الاحول المحرر بامره فوضع له قواعد واصول ثابتة . فجعل للحروف اللينة قلما خاصاً سماه (قلم النساخ)[١٥٢] وكان الكمال في ذلك للوزير ابن مقلة .[١٥٣] فقد هندس الحروف واجاد تحريرها[١٥٤] . ووضع لها نسبا وقواعد لأظهار خط متميز عن الخط الكوفي[١٥٥] . عرف بالخط المنسوب[١٥٦]

لقد كان القلم العربي السفير المتجول لنشر الدين الاسلامي الحنيف . فقد ورد في المدونات التأريخية أن رسول الله (ص) قد ارسل عدداً من الرسائل الى ملوك وامراء الدول المجاورة يدعوهم فيها الى الاسلام .

ومع أن بعض المختصين يشكون في وجود آثار مكتوبة اصلاً ترجع الى عصر النبي (ص)[١٥٧] . فقد نسبت وثائق مدونة الى تلك الحقبة الزمنية . منها رسائل قيل انها رسائل اصلية للنبي الكريم وهي : كتابه الى المنذر بن ساوى[١٥٨] . وكتابه الى النجاشي[١٥٩] . وكتابه الى كسرى[١٦٠] . وكتابه الى المقوقس[١٦١] . وكتابات اخرى وجدت في جانب من جبل سلع قرب المدينة المنورة[١٦٢]

وعلى الرغم من أن دراسة هذه الوثائق والبت فيما اذا كانت صحيحة او مزيفة يتطلب دراسة دقيقة من كل الجوانب بما في ذلك الدراسات المختبرية قبل الجزم بأمرها . الا ان للدراسة الخطية والدراسة التاريخية اثرا كبيراً في معرفة الحقيقة . وقد جاءت النتيجة لدراستها بهاتين الطريقتين[١٦٣] مطابقة لما رأه بعض المهتمين بالفنون والتراث الاسلامي امثال بيكر (Becker) واملنيو (Amelineau) وكرابجك (Karabcek) وكيتاني (Caetani) وفيت (Weit) وشفالي (Schwally) من أن هذه الوثائق مزيفة[١٦٤] .

اما الوثيقة الخامسة التي اعتبرت كتاب النبي الكريم الى هرقل فهي حسب علمي آخر ما ظهر للعيان من رسائل منسوبة الى نبينا الاعظم[١٦٥] . وقد درست هي الاخرى بالطريقتين التأريخية والخطية . وظهر لنا انها موضوعة

---

(١٤٩) وهو خط التحرير المستدير الذي عرفته الكوفة بخط النسخ بمعنى خط النقل وتلك تسمية لابأس بها لهذا النوع الذي كانت تتأدى به الاغراض اليومية المختلفة . وقد قصد بهذه التسمية على الارجح تمييز هذا النوع عن النوع اليابس الذي لم يكن يصلح من الوجهة العملية للنسخ والنقل (جمعة . ابراهيم . المصدر السابق . ص٥٧) . ونسخت الكتاب نسخاً : نقلته . (الفيومي . المصباح المنير . مادة نسخ) . وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى ((ومانسخ من آية او ننسها نأت بخير منها))(البقرة آية ١٠٦) .

١٥٠) زكي . محمد حسن . اتحاد اساتذة الرسم في الفنون الاسلامية . مطبعة الاعتماد بمصر . ١٩٣٨ م . ص ٤٠-٤١ .

(١٥١) الجبوري . سهيلة . اصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الاموي . جدول رقم ٤ .

(١٥٢) ابن النديم . الفهرست . ص ٨ - ٩

(١٥٣) محمد بن علي بن مقلة ولد سنة ٢٧٢ هـ وتوفي سنة ٣٢٨ هـ (ابن النديم . الفهرست . ص ٩

(١٥٤) القلقشندي ج ٣ . ١٧

(١٥٥) الخط الكوفي : هو الخط العربي الذي تميز بحروفه اليابسة واللينة (المقورة والمبسوطة) .
(الجبوري . سهيلة . تأريخ الخط العربي وتطوره في العراق في العصور العباسية ص ٦٠) . وقد غلبت تسميته بالكوفي بعد تمصير الكوفة وذلك لما بلغ من الجودة والاتقان على ايدي خطاطيها . وقد كان الخط العربي في العراق يسمى بالخط الحيري والخط الانباري قبل تمصير الكوفة (ناصف . حفني . تاريخ الادب . ص ٧٧) .

(١٥٦) الخط المنسوب : هو الخط الموزون ذو قواعد وقوانين . وسمي بالخط المنسوب لتناسب اشكاله الهندسية المتقنة ونسبته الى امام من ائمته . ويعتبر الوزير ابن مقلة المهندس الاول للخط المنسوب (الجبوري . سهيلة . الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق . مطبعة الزهراء . بغداد . ١٣٨١هـ . ص٩٥)

(١٥٧) الجبوري سهيلة . اصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الاموي . ص ٨٠

(١٥٨) نفس المصدر . ص٨٠- ص٨٤ . لوح ٤٢

(١٥٩) نفس المصدر ص ٨٥ - ٨٦ . لوح ٤٣ .

(١٦٠) نفس المصدر . ص ٨٧-٨٩ . لوح ٤٤

(١٦١) نفس المصدر . ص ٨٩ - ٩٢ . لوح ٤٥

(١٦٢) نفس المصدر ص ٩٢-٩٧ . لوح ٤٦-٤٧ . ٤٨ .

(١٦٣) نفس المصدر . ص ٨٠ - ٩٧ .

(١٦٤) Hamidullah, M.: Some Arabic Inscription of Medinah of the Early years of Hijrah, (Islamic Curiture) 1939 No. 4 vol. XIII P. 421.

(١٦٥) انه من حسن الصدف أن تكون صورة هذه الرسالة في متناول يدي . ففي سنة ١٩٧٥ وصلتني صورتها من قبل الدكتور ابراهيم شبوح مدير المعهد القومي للاثار والفنون في الجمهورية التونسية مشكوراً . فقمت بدراستها اسوة بالرسائل الاربع الانفة الذكر .

وغير اصلية[١٦٦]

ومهما يكن من امر فان الخط العربي لابد وان سار نحو التطور وبصورة سريعة في عهد النبي محمد (ص) . ولابد أن يكون قد تطور عما كان عليه في الفترة الجاهلية[١٦٧] . وذلك لامور عدة أهمها اهتمام النبي (ص) بنشره وحث الكتاب على تحسينه وتجويده .

ولحسن الحظ فقد ظهر في ايامنا هذه نموذج لهذه الكتابة المتطورة التي ترجع الى زمن النبي الكريم . وهي عبارة عن كتابة نقشت على احد جانبي النصل لسيف النبي الكريم نصها : (محمد رسول الله من سعد بن عباده) (شكل ٧)[١٦٨] .

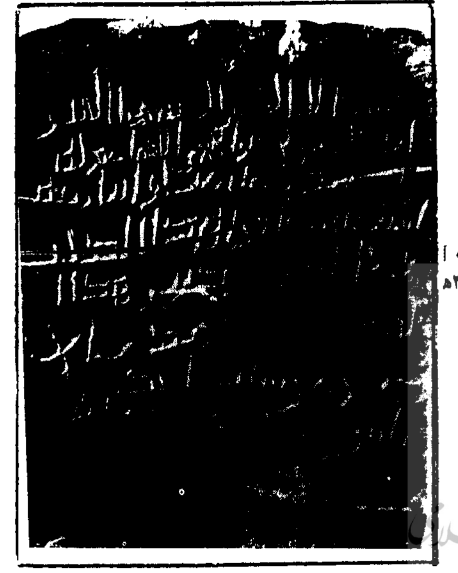
لقد قامت الاستاذة سعاد ماهر بدراسة هذا السيف بمساعدة الدكتور صالح احمد صالح . دراسة تأريخية وأثرية وفنية اضافة الى الدراسة المختبرية . فظهر لها جلياً أنه يرجع الى النبي الكريم[١٦٩] . كما ظهر لها أن اسلوب الكتابة يشبه اسلوب كتابة نقش حران المؤرخ سنة ٥٦٨ م (شكل ٥) وان كانت الكتابة متطورة بعض الشيء . كما أنها تشبه الكتابة المحفورة على شاهد قبر ٣١ ه (شكل ٨) .

وان كان خط الشاهد اكثر تطوراً من خط السيف[١٧٠] . كما حددت الاستاذة نفسها تاريخ هذا السيف من خلال شكل الحروف لذلك النص وارجعته الى سنة ١٠ ه / ٩٢٩ م[١٧١]

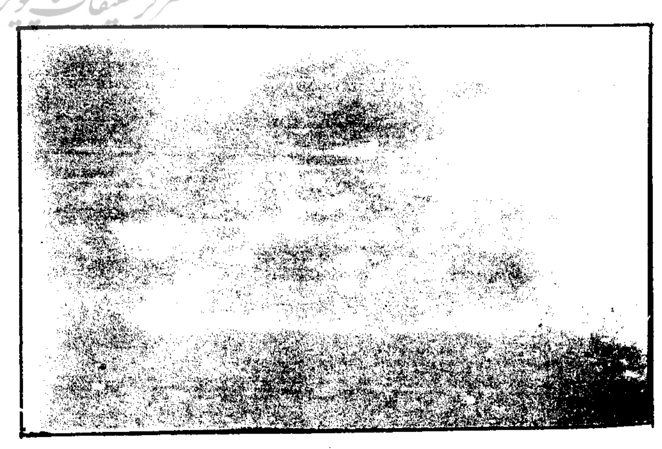
هكذا ادى النبي العربي رسالته التي هي من اعظم القوى التي ظهرت في تأريخ البشرية واثرت في سير احداثها وتوجيه افكارها . وكان تاثيرها في العرب اعمق . فقد قضى الرسول الكريم عشر سنوات في مكة يوضع معالم الدين الاسلامي الحنيف ويشرح مبادئه ويدعو الناس الى الايمان به . ثم هاجر الى المدينة المنورة حيث رحب به العرب من اهلها واهتموا به . وناصروه واسندوه . فكونت في المدينة المنورة نواة دولة الاسلام . واستطاع منها أن ينشر الاسلام ويوسع الدولة . فما أن مرت عشر سنوات الا وكانت دولة الاسلام قد امتدت لتنظيم كل سكان شبه جزيرة العرب . وبذلك تجلى التطابق بين العروبة والاسلام حينما اصبح عرب الجزيرة مسلمين . وكانت دولة الاسلام تضم عرب الجزيرة . هذا ماخلا اقلية ضئيلة اعتنقت الاسلام من غير العرب واقلية من العرب بقيت متمسكة بالمسيحية دون أن تقف معادية لاخوانها من العرب المسلمين .

كان السفير في نشر الاسلام ((كتاب الله)) المنزل . الذي خط بحروف النور . وبنشر تعاليم هذا الكتاب انتشر الخط العربي كما انتشرت اللغة العربية لغة القرآن الكريم . فصار للعرب اله واحد . قال تعالى : ((قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون))[١٧٢] . ودين واحد وكتاب واحد ونبي واحد واصبحوا امة واحدة قال تعالى : ((وان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاتقون))[١٧٣]

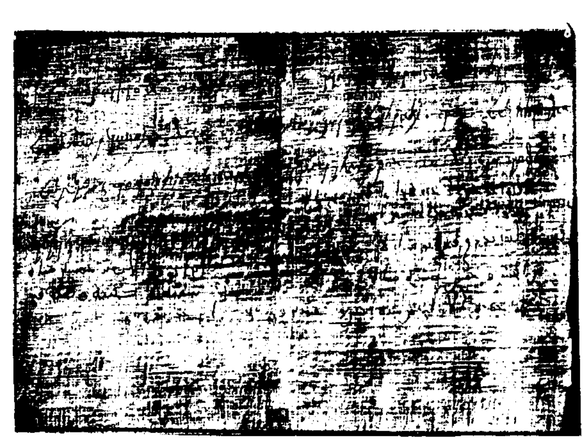
فوحدة العرب في دينهم . وكتابهم . ونبيهم . ولغتهم وفي حرفهم . فكم هي عظمة الدين الاسلامي الحنيف ؟ وكم هي عظمة النبي القائد وكم هي عظمة كتاب الله ؟



[شكل ٨] شاهد قبر ٣١ه



[شكل ٧] كتابة بالخط العربي على نصل سيف النبي الاعظم (ص)



[شكل ٩] بردية ٢٢ه

(١٦٦) Suhaila Al-Jaburi, The Prephet's Letter to the Byzantine Emperor Heraclius, Hamdard Islamicus, 1978. No. 3, Vol.i, p. 22-p. 49. Fig 11.

(١٦٧) الجبوري . سهيلة . المصدر السابق . جدول رقم ٢ .

(١٦٨) ماهر . سعاد . السيف المنسوب الى الرسول صلى الله عليه وسلم . مجلة كلية الاثار . ١٩٧٥ . العدد الاول . ص ١٥ .

(١٦٩) نفس المصدر . ص ٥ – ٣٥

(١٧٠) نفس المصدر . ص ١٥

(١٧١) نفس المصدر ص ١٥

(١٧٢) الانبياء : آية ١٠٨

(١٧٣) المؤمنون : آية ٥٣